بسم الله الرحمن الرحيم

بطلان ما يسمى بثورة الفقراء

وبيان

أن مكر أصحابها يبور وأن سعيهم غير مشكور

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فإن ما يدعو إليه أهل الفتنة من القيام بثورة على حاكم بلادنا المصرية يوم الجمعة الحادي عشر من شهر صفر، إن ما يدعو إليه هؤلاء من الثورة بدعوى الفقر والمسكنة باطل بجميع المقاييس الشرعية والعقلية والعرفية، ولو كان الفقر أو المسكنة موجبَيْن للثورة والخروج على الحاكم لما انفك الناس كلهم مسلمهم وكافرهم عن الثورة على حكامهم، إذ لا نعلم قطرًا من الأقطار خاليًا من فقراء أو مساكين، فالعقل الصريح -فضلًا عن الشرع الصحيح- يقطع ببطلان مثل هذه الثورات، فلا يزال الناس فيهم الغني والفقير، والصحيح والمريض، حتى في زمن النبوة، فلقد كان أهل الصفة فقراء لا يأوون إلى أهل ولا مال، فلم نعلم أنهم قاموا بثورة ضد النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بسبب ذلك الفقر أو تلك المسكنة، وهل هناك زمن خير من زمن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- اللهم لا، وهل هناك أحد من الناس أفضل من رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- اللهم لا، فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق بسنده إلى مجاهد أن أبا هريرة كان يقول: الله

الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع.... إلى أن قال، وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته -يعني النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- صدقةٌ بعث بها إليهم، ولم يأخذ منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها... الحديث.

وروى البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن أبي بكر أن أصحاب الصفة كانوا أناسًا فقراء، وأن النبي قال مرة: من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس أو كما قال، وإن أبا بكر جاء بثلاثة وانطلق النبي بعشرة... الحديث.

والحقيقة أن هؤلاء العازمين على الثورة بدعوى الحاجة والمسكنة والفقر، الحقيقة أنهم فقراء النفوس.

فقد روى البخاري في صحيحه بسنده إلى أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: **"ليس الغنى عن كثرة العرَض ولكن الغنى غنى النفس"** الحديث رواه مسلم.

وقد ذكر البخاري -رحمه الله- ثلاثة أحاديث في صحيحه تحت **" باب فضل الفقر"** فروى -رحمه الله- بسنده إلى سهل بن سعد الساعدي أنه قال: مر رجل على رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فقال لرجل عنده جالسٍ: **"مارأيك في هذا؟"** فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن يُنكَح، وإن شفع أن يُشفَّع، قال: فسكت رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ثم مر رجل، فقال له

رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"ما رأيك في هذا؟"** فقال: يا رسول الله! هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب أن لا يُنكَح، وإن شفع أن لا يُشفَّع، وإن قال أن لا يُسمع لقوله، فقال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"هذا خير من ملء الأرض مِثْلَ هذا"**

وروى البخاري بسنده إلى أبي وائل قال: عُدْنَا خبابًا فقال: هاجرنا مع النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- نريد وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئًا، منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد وترك نَمِرَةً، فإذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فأمرنا النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن نغطي رأسه، ونجعل على رجليه شيئًا من الإِذخِر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يَهدِبها" قال صاحب القاموس: والنمرة... الحِبَرة، وشَمْلَة فيها خطوط بيض وسود، أو بردة من صوف تلبسها الأعراب، وقال: والإذخر: (الحشيش الأخضر) وحشيش طيب الريح، وقال: وهدب الثمرة: اجتناها. اهـ

هذه الأحاديث رواها البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه، وقد ذكر البخاري قصة مصعب في موضع آخر من صحيحه، فقد روى في كتاب الجنائز، بسنده إلى سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم أن عبد الرحمن بن عوف أُتِيَ بطعام، وكان صائمًا، فقال قتل مصعب بن عمير، وهو خير مني، كفن في بردة، إن غطيت رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه، وأُراه قال: قتل حمزة، وهو خير مني، ثم بُسِطَ لنا من الدنيا ما بسط، أو قال: أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام".

وروى البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق أيضًا بسنده إلى عمران بن حصين -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: **"اطلعت في الجنة فوجدت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فوجدت أكثر أهلها النساء"** وهو في مسلم بذكر النساء بنحوه.

وروى مسلم في صحيحه (٢٨٤٦) بسنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"احتجت الجنة والنار، فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله -عز وجل- لهذه: أنتِ عذابي أُعَذِّب بكِ من أشاء (وربما قال: أصيب بكِ من أشاء) وقال لهذه: أنتِ رحمتي أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها"** وفي لفظ **"تحاجت النار والجنة، فقالت النار: أُوثرتُ بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسَقَطُهم وعَجَزُهم، فقال الله للجنة: أنتِ رحمتي، أرحم بكِ من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنت عذابي، أعَذِّب بكِ من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها..."** الحديث رواه البخاري في صحيحه.

وروى مسلم في صحيحه برقم: (٢٨٥٣) بسنده إلى حارثة بن وهب أنه سمع النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: **"ألا أخبركم بأهل الجنة؟"** قالوا: بلى، قال -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"كل ضعيف متضعَّف لو أقسم على الله لأبره"** ثم قال: **"ألا أخبركم بأهل النار؟"** قالوا: بلى، قال: **"كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مستكبر"** الحديث رواه البخاري في صحيحه برقم: (٤٩١٨).

قال النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: "قوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في أهل الجنة: **"كل ضعيف متضعَّف"** ضبطوا قوله متضعف بفتح العين وكسرها، المشهور الفتح ولم يذكر الأكثرون غيره، ومعناه يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله في الدنيا، يقال: تضعفه واستضعفه، وأما رواية الكسر فمعناها: متواضع متذلل خامل واضع من نفسه، قال النووي -رحمه الله- قوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في أهل النار: **"كل عتل جواظ مستكبر"** وفي رواية: **"كل جواظ زنيم متكبر"** أما العتل بضم العين والتاء فهو الجافي الشديد الخصومة بالباطل، وقيل: الجافي الفظ الغليظ، وأما الجواظ بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة فهو الجموع المنوع، وقيل: كثير اللحم المختال في مِشيته، وقيل القصير البطين، وقيل الفاخر بالخاء، وأما الزنيم فهو الدَّعِيُّ في النسب الملصق بالقوم وليس منهم ... وأما المتكبر والمستكبر فهو صاحب الكبر (انتهى المراد من كلام النووي -رحمه الله-)

وروى البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه بسنده إلى عائشة -رضي الله عنها- قالت: لقد توفي النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وما في رفِّي من شيء يأكله ذو كبِد، إلا شطر شعيرٍ في رفٍّ لي، فأكلت منه فطال علي، فكِلْته، ففنيَ" الحديث أخرجه مسلم.

وروى البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير بسنده إلى عائشة -رضي الله عنها- قالت: توفي رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير" الحديث رواه مسلم في صحيحه بدون ذكر (ثلاثين صاعًا من شعير).

فإن كانت ثورة الثائرين وخروج الخارجين للفقر والمسكنة فليس لهم حق في تلك الثورة ولا في ذلك الخروج وهم في ذلك كله على باطل أكيد.

فالواجب على الفقير والمسكين والمحتاج الصبر بلا جزع ولا تسخط ولا شكاية، فهذا هو الصبر الجميل، كما قال ابن القيم -رحمه الله-: "واصبر بغير تسخط وشكاية" ومن يتصبر يصبره الله.

فما أحوج!! هؤلاء الثائرين النافرين على هذا الوجه إلى الاستعفاف.

فقد روى مسلم في صحيحه برقم: (١٠٥٣) بسنده إلى أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى إذا نفِد ما عنده قال: **"ما يكن عندي من خير فلن أدَّخره عنكم، ومن يستعفف يعفَّه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يصبر** (ولفظ البخاري (١٤٦٩)"**ومن يتصبر") يصبره الله، وما أعطي أحد من عطاءٍ خيرٌ وأوسع من الصبر (ولفظ البخاري: وما أعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر"** فالحديث متفق عليه.

وروى البخاري في صحيحه (١٤٧٢) بسنده إلى حكيم بن حزام -رضي الله عنه- قال: سألت رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: **"يا حكيم إن هذا المال خَضِرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع،اليد العليا خير من اليد السفلى..."** الحديث، أخرج مسلم جزأه الأخير هنا من أول قوله: **"إن هذا المال"** رقم: (١٠٣٥).

وروى مسلم في صحيحه برقم: (١٠٣٧) بسنده إلى معاوية -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقول: **"إنما أنا خازن فمن أعطيته عن طيب نفس فيبارَكُ له فيه، ومن أعطيته عن مسألة وشَرَهٍ كان كالذي يأكل ولا يشبع"**.

وفي لفظ لمسلم: **"لا تُلْحِفُوا في المسألة، فوالله! لا يسألني أحد منكم شيئًا، فتُخرِجَ له مسألته مني شيئًا وأنا له كاره، فيبارَكَ له فيما أعطيته"**

وروى البخاري في صحيحه (١٤٧٣) بسنده إلى عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت عمر يقول: كان رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يعطيني العطاء، فأقول: أعطه من هو أفقر إليه مني، فقال: **"خذه، إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك"** الحديث أخرجه مسلم برقم: (١٠٤٥).

وفي بعض ألفاظ الحديث عند مسلم: قال سالم: فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدًا شيئًا ولا يرد شيئًا أُعطِيَه.

وروى مسلم في صحيحه (١٠٣٩) بسنده إلى أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: **"ليس المسكينُ بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان"** قالوا: فما المسكين يا رسول الله؟ قال: **"الذي لا يجد غنًى يغنيه، ولا يُفْطَن له فيُتَصَدَّقَ عليه، ولا يسأل الناس شيئًا"** وفي لفظ له بعده: "إنما المسكين المتعفف، اقرءوا إن شئتم: ﴿لاَ يَسْأَلُونَ

النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ الحديثان أخرجهما البخاري في صحيحه، الأول برقم: (١٤٩٧) وفيه: ولا يقوم فيسأل الناس، والثاني برقم: (٤٥٣٩).

وروى مسلم في صحيحه (١٠٤٣) بسنده إلى عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا عند رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: **"ألا تبايعون رسول الله؟"** وكنا حديثَ عهدٍ ببيعة، فقلنا قد بايعناك يا رسول الله! ثم قال: **"ألا تبايعون رسول الله؟"** فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: **"ألا تبايعون رسول الله؟"** قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك؟ قال: **"على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، والصلواتِ الخمس، وتطيعوا** (وأسر كلمة خفية) **ولا تسألوا الناس شيئًا"** فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحدًا يناوله إياه.

فيا لها!! من عفة عن المسألة يفتقر إليها -أي العفة- الثرثارون المتظاهرون كالحوا الوجوه النافرون نفرة حمر الوحش.

والواجب على الفقير والمسكين هو الصبر، والصبر الجميل إنما يكون بغير جزع ولا تسخط ولا شكاية.

وقد قال -عز وجل-: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ فيجب الصبر على الأحكام الدينية الشرعية من أمر ونهي ويجب الصبر على الأحكام الكونية القدرية من فقر أو مرض ونحو ذلك

ولا شك أن ما يقوم به المتظاهرون من التظاهر مع ما يرفعونه من الشعارات التي فيها من التسخط والشكاية للخلق ما فيها، لا شك أن ذلك ونظائره مما ينافي الصبر الجميل المأمور به شرعًا أمر إيجاب فضلًا عن منافاته للرضا والشكر.

فيجب الصبر وترك الاستعجال فيما لا يجوز فيه الاستعجال، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده إلى خباب بن الأَرَتِّ قال: شكونا إلى رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وهو متوسد بردةً له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصرُ لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: **"قد كان مَن قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليَتِمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون"**.

والذي يريد أن يقطف الثمار قبل تعاهد الزرع بالسقي وما لا بد للزرع منه لا عقل له فضلًا عمن يريد جني الثمار قبل الحرث والبذر!! فما أقل!! عقول المتظاهرين الثائرين على حكامهم المستعجلين على أمور لهم فيها أناة، فأمثال هؤلاء وأمثال هؤلاء لا يفلحون.

إن كثيرًا من الناس عندهم سفه في عقولهم، حتى إن شيخنا الوادعي -رحمه الله- كان يقول في أمثال هؤلاء: إذا وفَّر لهم الحاكم الزيت والسكر والدقيق قالوا: أمير المؤمنين، وإذا لم يوفر لهم ذلك خرجوا وثاروا عليه، أو كما قال -رحمه الله-

ومما يتعلق بالصبر ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها- بشأن حادثة الإفك حيث قالت: فوالله لا أجد لي ولكم مثلًا إلا أبا يوسف حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ وروى البخاري في صحيحه قصة مقتل خُبيب بن عدي -رضي الله عنه- وفيها: فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل، قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، فقال: والله لولا تحسِبوا أن ما بي جزعٌ لزدت، ثم قال: اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بَددًا، ولا تبق منهم أحدًا، ثم أنشأ يقول:

ولست أبالي حين أُقتل مسلمًا ... على أي جنب كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شِلْو ممزع

ثم قام إليه أبو سِرْوَعَة عقبةُ بن الحارث فقتله، وكان خبيب هو سَنَّ لكل مسلمٍ قُتِل صبرًا الصلاة.

والشاهد هو صبر أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- -ورضي الله عنهم- على ما نالهم من الأذى من قِبَل المشركين، فلنا في الصبر على المكاره من الجوع أو قلة ذات اليد أسوة بهم.

وقد روى البخاري ومسلم من حديث أنس أن أبا طلحة قال لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ضعيفًا أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصًا من شعير ثم أرسلت به أنسًا ولفته بخمارها... الحديث.

فهذا رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وهو خير الناس قد أصابه الجوع فليس الجوع معصبًا ولا مختصًا بالثائرين النافرين المتظاهرين، هذا إن كانوا جَوْعى، فإن الجائع يَسْكُن عادة بخلاف الشبعان فإن عنده في بدنه ما يعينه على الحركة.

وروى البخاري من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: أَتى رجل رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فقال: يا رسول الله أصابني الجَهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئًا فقال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"ألا رجلٌ يضيفه الليلة -يرحمه الله-"** فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لامراته: ضَيْف رسول الله، لا تدَّخريه شيئًا، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصِّبْيَة، قال فإذا أراد الصبية العشاء فنوِّمِيهم، وتعالَيْ فأطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فقال: **"لقد عجب الله -عز وجل- أو ضحك من فلان وفلانة"** فأنزل الله -عز وجل-: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ هذا أحد ألفاظ هذا الحديث.

وقد أخرجه مسلم أيضًا برقم: (٢٠٥٤) وفيه: **"قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة"** وفي لفظ: فقام رجل من الأنصار يقال له: أبو طلحة، فانطلق به إلى رحله.

ورواه البخاري برقم: (٣٧٩٨) وبين الألفاظ شيء من التفاوت.

وروى البخاري في صحيحه بسنده إلى أنس أنه مشى إلى النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بخبز شعير وإهالة سَنِخَة -أي متغيرة-، ولقد رهن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- درعًا له بالمدينة عند يهودي، وأخذ منه شعيرًا لأهله، ولقد سمعته يقول: **"ما أمسى عند آل محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- صاع بر ولا صاع حَب، وإن عنده لتسعَ نسوة"**

وفي لفظ له برقم: (٢٥٠٨) **"وإنهم لتسعة أبيات"**

ولقد أقسم الله ببلاء عباده غير أنه بشر الصابرين، فقال -سبحانه-: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾ فهذا هو قول الصابرين متى أصابتهم مصيبة بخلاف أهل التظاهر والثورة والنفرة فإنهم في واد سحيق بعيد عن الصبر والهداية إلى الطيب من القول، فهم أهل تهييج وفتنة وإرجاف وصخب.

وقال -عز وجل-: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ وتأويل الآية: ولنختبرنكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين علم رؤية، فالله يعلم الأشياء كلها قبل وقوعها، فبالابتلاء يظهر ويتميز المجاهد من المحروم من الجهاد، وبالابتلاء يتميز الصابر من الساخط الجازع الشاكي حالَه إلى الخلق.

فمِن سنة الله الكونية الجارية في عباده ابتلاؤهم لمثل الحكم المذكورة لا لأن يُحْدِثوا الفتن والزلازل والقلاقل والثوْرات على الحكام والإفساد في الأرض والتشبه باليهود في إيقاد نيران الفتن، قال -عز من قائل- عن اليهود: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ففي هذه الآية بشارة للمؤمنين بإطفاء نار الحرب التي أوقدوها، وكذلك أهل الفتنة والثورة والنفرة والتظاهر على حكام المسلمين، فإن الله يطفئ نيران فتنتهم كلما أوقدوها، يؤكد ذلك إخبارُ النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بقطع قرن الخوارج كلما خرج، فلله الحمد والمنة.

وقال -عز وجل-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ غير أنهم لم يضرَّعوا إلى الله ولم يسلموا له ولم ينيبوا إليه ولم يدعوه ويلجؤوا إليه وحده لا شريك، وإنما بَقُوا على كفرهم وأصروا عليه، ولذا قال: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ أي الابتلاء ﴿الْحَسَنَةَ﴾ أي النعماء ﴿حَتَّى عَفَواْ﴾ أي كثروا، فلم يعتبروا بهذا الابتلاء ولم يتذكروا ولم يتعظوا بذلك ولم يجعلوا من وراء ذلك الابتلاء مثل تلك الحِكَم وإنما قالوا: ﴿قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء﴾ أي الأتراح والأفراح فنحن مثلهم في هذا، فأعْرَوا ذاك الابتلاء عن مثل تلك الحكم، فلم ينتفعوا بذلك الابتلاء ولم يكن رادعًا لهم عن كفرهم ولا زاجرًا لهم عن غيهم، فكان عاقبة أمرهم ماذكر الله في قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ وشبيه بهذه الآية في (الأعراف) قوله -تعالى- في (الأنعام):

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ أي آيسون من رحمة الله ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقال -تعالى-: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾ أي حائدون مائلون بعيدون ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ فلم يستفيدوا من ذلك العذاب والبلاء توبة وإنابة وإسلامًا لله رب العالمين، قال الله: ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ وقال -عز من قائل-: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إليه -سبحانه- غير أن الأمر كما قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالضلال والكفر﴿لاَ يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ وقال: ﴿وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾.

فالابتلاء بأنواع الابتلاء إنما هو جارٍ على وَفْق حكمة الحكيم -سبحانه- لا على وجه العبث، غير أنه لا ينتفع بالآيات الشرعية والكونية إلا المؤمنون، أما الظالمون فلا ينتفعون بها، قال -سبحانه-: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا﴾.

فالواجب على أهل البلاء أن يرجعوا إلى الله ويتوبوا إليه ويستغفروه حتى يكشف ما بهم من بلاء فقرًا كان أو غيره، لا أن يتمادَوا في طغيانهم يعمهون، فإن هذا التمادي نذير شر وهلاك وخيبة وخسران وعذاب لأصحابه في الدنيا والآخرة.

ومن أعظم الخوض في الباطل والتمادي فيه التظاهر على الحاكم المسلم والثورة عليه، والتعاون على ذلك، ونشر الأراجيف والإشاعات الكاذبة.

إنه يجب على الفقير أن يلجأ إلى الله ويتضرع إليه في رفع فقره، وتحقيق غناه من جميع وجوهه، فلا ملجأ من الله إلا إليه، وكان من دعاء النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى"** والحديث في الصحيح، وقد قال -عز من قائل-: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ * وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّه سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

أمَّا أن يُقْدم الفقير على قتل نفسه بسبب الفقر والضوائق والأزمات المالية والحاجة فليس هذا علاجًا للمشكلات، وأمر هذا كما قيل: وداوني بالتي كانت هي الداء.

وقد قيل:

المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

فكيف بمن يستجير من الفقر بالقتل؟! وقد نهى الله عن قتل النفس فقال: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّه كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ وقال: ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللَّه يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فمن قتل نفسه فقد أساء إليها، وفي الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن رجلًا ممن كان قبلنا خرجت به قَرحةٌ فآذته فأخذ سهمًا من كنانته فنكأها فلم يرقأ الدم حتى مات، قال الله: بدرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة".

وفي الصحيح قول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- : **"من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة"** وفي الصحيح -أيضًا- عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"من تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تحسى سمًّا فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا"** قال النووي -رحمه الله- في شرحه في معنى يتوجأ: "ومعناه يطعن".

وقد قال الله -عز وجل-: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا﴾ وقال: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ والإملاق هو الفقر، فلا يجوز قتل الولد خشية وقوع الفقر، ولا يجوز قتل الولد حال كون الفقر واقعًا، فقد تكفل الله برزق الوالد والولد، ويجب تحسين الظن بالله، قال -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله"** والحديث في الصحيح، وفي الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: **"قال الله: أنا عند ظن عبدي بي"** فمن قتل نفسه يأسًا من روح الله ورحمته فهو كافر بنص الكتاب، قال -عز من قائل- عن يعقوب وبنيه حيث قال يعقوب لهم: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ وقال -عز وجل-: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ * قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾ أي كاملوا الضلال، أمَّا قوله –تعالى-: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ فقوله: ﴿يَيْأَسِ﴾ هنا بمعنى يعلم كما في لغة بعض العرب.

وإذا كان لا يجوز للوالد قتل ولده من الفقر أو خشية الفقر فلا يجوز له قتل نفسه من باب أولى، هذا التي تدل عليه أدلة الشريعة، بما يدلك على قلة أو انعدام عقل من يُقدم على قتل نفسه بسبب الضوائق المالية أو المادية كما يقولون، فما كان قتل النفس ولا الخروج على الحاكم المسلم علاجًا شرعيًّا لمثل هذه الضوائق والأزمات ولن يكون يومًا ما.

فالذي يُقدم على قتل نفسه بسبب الفقر قد خسر دينه ودنياه معًا، وقد ثبت في الصحيح صحيح مسلم عن أبي نوفل قال: رأيت عبد الله بن الزبير على عَقَبة المدينة -أي بعد مقتله- قال: فجعلَت قريش تمر عليه والناس، حتى مر عليه عبد الله بن عمر، فوقف عليه، فقال: السلام عليك أبا خُبيب، السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، أمَا والله! لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله! لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله! لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله! إن كنتَ ما علمتُ، صوامًا، قوامًا، وصولًا للرحم، أما والله! لأُمَّة أنت أشرُّها لأمةٌ خيرٌ، ثم نَفَذَ عبد الله بن عمر، فبلغ الحجاجَ موقفُ عبد الله بن عمر وقولُه، فأرسل إليه، فأُنزل -أي ابن الزبير- عن جذعه -أي الذي صلب عليه- فألقي في قبور اليهود، ثم أَرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر، فأبت أن تأتيه، فأعاد عليها الرسولَ، لَتَأتِيَنِّي أو لأبعثن إليك من يسحبُك بقُرُونك، قال: فأبت وقالت: والله! لا أتيك حتى تبعث إليَّ من يسحبني بقروني، قال: فقال: أَروني سِبْتَيَّ، فأخذ نعليه، ثم انطلق يتوذَّفُ (أي: يقارب الخطو، ويحرك مَنكبيه متبخترًا، أو يسرع.اهـ من القاموس) حتى دخل عليها، فقال: كيف رأيتِنِي صنعتُ بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك، بلغني

أنك تقول له: يا ابن ذات النطاقين! أنا والله! ذات النطاقين، أمَّا أحدهما: فكنت أرفع به طعام رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وطعام أبي بكر من الدوابِّ، وأما الآخر: فنطاقُ المرأة التي لا تستغني عنه، أمَا إنَّ رسولَ الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- حدثنا: **"أن في ثقيف كذابًا ومبيرًا** "-أي مُهلِكًا- فأما الكذاب فرأيناه -تعني المختار بن أبي عبيد الثقفي مدعي النبوة- في مآل أمره وآخره وأنه يوحى إليه، ولما قيل لابن عمر إن المختار يزعم أنه يوحى إليه، قال: صدق، قال -تعالى-: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾- وأما المبير فلا إخالك إلا إياه، قال: فقام عنها ولم يراجعها.

قلت: سقت هذا السياق كله لما فيه من العبرة.

ثم أقول: فالذي يُقدم على قتل نفسه قد أفسد على نفسه أمر دينه وأمر دنياه معًا، وكان هو القاتل والمقتول في الوقت نفسه، نسأل الله العافية.

والذي يخرج في مظاهرة وثورة على الحاكم المسلم فإنه قد يتسبب في قتل نفسه وإفنائها، فإن الدولة المصرية -حرسها الله- لن تقف مكتوفة الأيدي أمام العابثين بأمن البلاد، والمحرضين على الفساد، والساعين في الأرض بالفساد، والمخربين وحاملي السلاح وسافكي الدماء المعصومة المحرمة، لن تقف مكتوفة الأيدي أمام أمثال هؤلاء لما أنيط بها من الواجب الشرعي بالقيام بأداء الأمانة التي تحملتها، وذلك بالدفاع عن هذه البلاد وأهلها ودينها وعرضها ومالها وعقلها، وإذا كانت الدولة المصرية -حرسها الله- قد أمكنها الله من الأخذ على أيدي الخوارج البغاة في أَوْج

عهدهم مع تكالب الأعداء من الداخل والخارج عليها في وقت عز فيه النصير وكان بالدولة ما بها من الضعف، فكيف يكون شأنها -حرسها الله- مع هؤلاء الثائرين النافرين في وقت قد استعادت فيه الدولة ما استعادت من القوة والمجد، واشتد فيه ساعدها، وصَلُبَ فيه عُودها، واستتب فيه أمنها،وكثرت فيه أرزاقها، وضرب فيه الحكم بما ضرب من جذوره وأطنابه أي: أوتاده، كما في القاموس ؟! إن مثل هذا الوضع -الذي نسأل الله أن يزيده حسنًا إلى حسن، وأن يقوِّم ما كان معوجًّا- لكفيل -في عقول العقلاء- أن يكون رادعًا لأمثال هؤلاء الحمقى المرجفين المثورين أو الثائرين عن بغيهم وإفسادهم، والحمد لله على انحسار المد الحزبي البدعي، ونسأل الله المزيد من فضله، ولمَّا كانت الدولة -حرسها الله- مظلومة ببغي هؤلاء البغاة عليها، واعتداء هؤلاء المعتدين عليها، كانت منصورة ويرجى لها النصر على كل المعتدين والبغاة والخارجين عليها، وقد قال -تعالى-: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ وفي هذا بشارة بانتصار الدولة على الخوارج القتلة للأبرياء والمعصومين من رجال الجيش والشرطة والقضاء وغيرهم.

وقد قال -عز من قائل-:﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾.

هذا، وإنه ليجب إنفاذ حكم الله في المحاربين والمفسدين بحيث لا تسول لأحد نفسه بالمحاربة والإفساد، وبحيث تغلَق نوافذ وأبواب وذرائع الشر وأسبابه، وبحيث يوصد

باب السنن السيئة من تظاهر وثورة وغير ذلك من الباطل، وكان على أمثال هؤلاء الشرّيرين أن يدركوا أن جوعًا وأمنًا خير من خوف وشبع وغنى، -هذا إن كانوا جَوعى- فالغني الخائف لا يهنأ له عيش في حل ولا ترحال، ولا سفر ولا حضر، ولا نوم ولا يقظة، أم يريدون أن يعودوا إلى ليالي وأيام عهد فرقة الإخوان المشؤومة؟! لا أعاد الله تلك الليالي، ولا تلك الأيام على المسلمين.

إن السفهاء لا يجوز تمكينهم من المال ولا من ولاية أمر المال، قال -تعالى-: ﴿وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ ولا يجوز تمكينهم من ولاية ما هو فوق ذلك وأعلى من ذلك من ولاية أمور المسلمين عمومًا من باب أولى.

ولمصلحة مَن تلك الفتن؟! إن مثل هذه الثورات والمظاهرات والفتن إنما هي من كيد الشيطان وأعداء الإسلام للإسلام وأهله، ومن كيد أهل البدع للسنن وأهلها، فيجب تمام الحذر من مثل تلك المكائد الخبيث التي تدار وتحاك لبلاد المسلمين ومنها هذا البلد الكبير مصر -حرسها الله-.

ثم إن سبب المصائب من فقر وغيره هو المعائب من الذنوب والمعاصي، قال -عز وجل-: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ كما قال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّه النَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ أي بكل ظلمهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ كما قال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ أي بكل ما كسبوا ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء

﴿أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّه كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ فما أكثر الذنوب والمعاصي في الناس!! وما أكثر البدع!! وما أشد الفُرقة!! فليعلم العبد أن الله حليم وأنه يمهل العبد الظالم ولا يعاجله بالعقوبة -وإن كانت قد جرت سنة الله بهتك ستر مدعي النبوة والمبتدعة هتكًا عاجلًا غير آجل- ومما يدل على إمهال الظالم قول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: "**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**" ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ وقال -عز من قائل-: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ وقال: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ وللمسلمين الظالمين نصيب من هذا الوعيد المذكور، فلا يجوز للناس أن يعالجوا المصائب بالمعائب وقتل الناس ظلمًا، وتخريب العمران، وإفساد البلدان.

ومن سلك هذا السبيل وجب جهاده، وقد قال -عز من قائل-: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ وقد فُتِحَ باب الجهاد الذي يرجى فيه الشهادة على مصراعيه لمن وفقه الله من جند الإسلام لنيل هذه المرتبة الشريفة، والدرجة العالية المنيفة، **فاللهم شهادةً في سبيلك**، إذ يجوز تمني الموت على هذا الوجه، وقد قال -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كما في الصحيح: "**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على**

فراشه" وبناء على ذلك، قد يبلغ العبد منازل الشهداء وإن لم يقتل، فما أعظم كرم الله!! نسأل الله الصدق.

إن أهل الفتن أمرهم كما قيل: يصطادون في الماء العكر، فيتحينون أي فرصة للثورة والفتنة وزعزعة وزلزلة الأمن الذي قد نَعِمَ به الناس، كعزفهم على أوتار وأنغام الغلاء الذي تسببوا هم فيه وافتعلوه، أو افتعله أو تسبب فيه المفتعلون له والمتسببون فيه من المحتكرين للسلع التموينية المدعمة من الدولة، والتي يحتاج إليها الناس من سكر!! أو غيره، وأهل الفتنة إما أن يخرجوا أموالهم إلى خارج البلاد -بلاد مصر الإسلامية- وإما أن يسحبوها من الاستثمارات في المشروعات النافعة للبلاد، وإما أن يجمعوا ما يسمى بالعملة الصعبة من هنا وهناك إلى غير ذلك محاولة منهم لإضعاف اقتصاد البلاد وإظهارها مظهر العاجز عن القيام بواجبها المنوط بها، بما يرونه مسوغًا لهم للثورة على حكام البلاد، فيحرضون الناس على الثورة على حكامهم، ويقدمونهم أضاحي وكباش فداء في الوقت الذي هم فيه قاعدون في بيوتهم أو قصورهم، وما أكثر الخوارج القعدية من فرقة الإخوان المسلمين وأذنابهم وأفراخهم من أدعياء السلفية الكذابين المبتدعين!! ما أكثر هؤلاء المزينين للناس الثورة والخروج -من وراء الجدران والحيطان والأسوار- في الوقت الذي لا يخرجون فيه من باب سياسة إمساك العصا من الوسط -وهي سياسية مداهنة- فما أكثر من يُضَحَّى به ولا يعلم بحقيقة أمر الذي يقدمه إلى سكين الجزار!! ألا فليُفق هؤلاء الحمقى والمغفلون من غفلتهم ورقدتهم وليفطنوا إلى مكائد أمثال هؤلاء المضحين بهم في سبيل تحقيق مآربهم من الأخذ بالثأر والانتقام من الحكام تحت دعاوى عاطلة،

ومزاعم باطلة، وشائعات وإرجافات كاذبة، فأهل الفتنة يروجون للباطل والشائعات الكاذبة والأراجيف، وينسبون لغيرهم ما غيرهم براء منه وما هم أنفسهم -لا غيرهم- متلبسون به متسببون فيه، فأمر أهل الفتنة هو كما قيل: يقتل القتيل ويمشي في جنازته!!

فمتى كان بمصر النيلية الطينية زارعة قصب السكر والبنجر هنا وهناك، صاحبة مصانع السكر هنا وهناك، متى كان بها أزمة سكر؟! إنها أزمة أمانة وأزمة وفاء بالعهود، فما أكثر الخائنين!! وما أكثر الناقضين للعهود!! وما أكثر المخلفين للوعود!! وما أكثر الناكثين للأيمان المؤكدة!! وما أكثر المحتكرين لقوت المسلمين والمختلسين له والمروجين لذلك.

إن الأزمة في الحقيقة أزمة دين، فأهل البدع وأهل المعاصي سبب للنكبات وسبب للمصائب ورفع الخيرات.

ولو كانت هناك أزمة سكر!! أو غيره من تلك الأمور الدنيوية ما كانت موجبة بحال من الأحوال للتثوير على الحكام ولا للإرجاف في البلدان ولا للتضحية بالعوام الطَّغَام (أي أوغاد الناس، وهم الحمقى الضعفاء الأراذل الأدنياء، كما يستفاد من مادة طغم ووغد من القاموس) فالعبد يمكن أن يعيش بغير هذا السكر أصلًا، لو فرضنا وجود أزمة سكر مثلًا، والبدائل الحلوة عن السكر كثيرة، ولكن ما أخس الهمم!! فَهِمة هذا شأنها همة ضعيفة خسيسة دنيئة وصنيعة حقيره لأناس ضعفاء أخساء أدنياء وضعاء حقراء.

أما يخشى هذا الذي يحتكر قوت المسلمين وغذاءهم ومؤونتهم أن يحرمه الله من الانتفاع بها وبأثمانها؟! أما يخشى الذي يحتكر السكر أن يصيبه الله بداء السكر؟! قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"لا يحتكر إلا خاطئ"** أي متعمد للوقوع في الإثم، كما قال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ وبهذا يظهر لك الفرق بين خاطئ ومخطئ.

فلا يجوز احتكار السلع الضرورية والسلع التي يحتاج إليها عموم الناس، وإن لم تكن من السلع التموينية المدعومة من الدولة فكيف باحتكار السلع التموينية المدعومة من الدولة وسرقتها أو اختلاسها ظلمًا وعدوانًا وبغيًا، إن أمثال هؤلاء المحتكرين لمثل تلك السلع أو الآخذين لها بسبيل أو بآخر غير شرعي المضارين للناس في أسباب حياتهم وعيشهم المتسببين في ثورتهم ونفرتهم، إن أمثالهم يجب أن ينفذ فيهم حكم الله في المفسدين من أمثالهم وكل من كان محاربًا وساعيًا في الأرض بالفساد فإنه يجب أن ينفذ فيه حكم الحرابة المتعلق بالمحاربين المذكور في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ والشريعة مبنية على أن لا ضرر ولا ضرار، فمن ضارَّ ضارَّ الله به، فيجب التفطن لأمثال هؤلاء الفاتنين المفتونين المروجين للأكاذيب والشائعات الكاذبة والمتاجرين بها في سبيل تحقيق أغراض خبيثة ومقاصد دنيئة محرمة.

هذا، ونقول لأهل البلاء: إنه لا يجوز التشبه بالفراعنة الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ﴾ أي الجدب والقحط ﴿وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَذِهِ﴾ أي نحن أحق بها وأهلها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ﴾ أي يتشاءموا ﴿بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ﴾ أي عملهم ومنه تشاؤمهم وتطيرهم هذا ﴿عِندَ اللّهِ﴾ محصي عليهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ فمن تشبه بفرعون وقومه في هذا، فهو فرعوني في هذا الباب.

إن مثل هذه الفتن خير للمؤمنين شر على الكافرين، وخير لأهل السنة شر على أهل البدعة، والفتنة كما قال الله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ فبهذه الفتن يعرف ويتميز العدو من الصديق، وبذلك يتمكن أهل الحق من كبت أهل الفتنة وقطع طرف منهم واستئصال شأفتهم شيئًا فشيئًا، فكم في المحن من منح!!

إن ثورة هؤلاء ثورة لهو ولعب، وضرر وإضرار، وفساد وإفساد تستوجب حشد الطاقات والجهود للقضاء عليها والإجهاز عليها، والعاقل إنما يحرص على إبقاء مايمكن إبقاؤه من الخير في بلاده لا على إفنائه وإقصائه كما هو شأن غير العقلاء وأهل الفتنة.

كما يجب التفطن لمكائد بعض رجال الأعمال من نصارى أومسلمين، بحيث لا يسمح لأحد بالتلاعب بهذه البلاد وأهلها، وأقول:

أين أصوات أدعياء السلفية الكذابين في إنكار ما يعزم أهل الفتنة على إيقاعه من الثورة والفتنة؟! اللهم إنا نشهد أنهم جميعًا -أعني فرقة الإخوان المسلمين وأدعياء السلفية الكذابين- في خندق واحد، وأن أدعياء السلفية هؤلاء أخطر الفريقين على الدين.

متى يبلغ البنيان يومًا تمامه إذا كنت تبني ثم غيرك يهدم

هذا، والحق يقال: ما أكثر المشروعات النافعة التي قامت بها الدولة -حفظها الله- في مجالات شتى، لا ينكرها ولا يُزهِّد فيها ولا يُقلِّل من شأنها إلا جاحد كافر للنعمة، أو مغفل أعمى، وقد قيل: الذي لا ينظر من الغربال أعمى.

إنه يجب على العبد أن يُسهم في تفريج كرب المسلمين، والتعاون معهم على البر والتقوى لا التعاون على الإثم والعدوان وتفاقم الفتن والمشكلات، قال -تعالى-: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. ولا شك أن الثورة على الحاكم المسلم والتحريض عليها من التعاون على الإثم والعدوان، لا من التعاون على البر والتقوى، ومن أعظم أسباب البلاء لأصحاب تلك الفتن، فمن حفر حفرة لأخيه وقع فيها، وقد قال الله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ وقال: ﴿وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾

إن نبي الله يوسف -صلى الله عليه وسلم- قد أعان على الخير حينما أول رؤيا الملك التي كان فيها من المحنة ما فيها، أولها التأويل الصادق النافع فكان صادقًا في تعبيره لرؤياه، صِدِّيقًا خَيِّرًا نافعًا ناصحًا لا غاشًا ولا كتومًا للخير وهو الذي قال للملك: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ فكان ناصحًا للناس بذلك وللملك حينما قال له الملك: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ﴾ فأمثال هؤلاء الناصحين هم الذين يُمَكَّنُون في الأرض، وقد ذكر الله تمكينه ليوسف في موضعين بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ وقال يوسف في أعقاب ذلك كله: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ولما سلك هؤلاء الخوان سبيل الخيانة والتكبر في الأرض والتجبر على عباد الله سلبهم الله الملك وأهانهم، ولا يزالون سالكين سبيل الزوال والفناء والخزي والإهانة، وقد قال -عز وجل-: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ غير أن هؤلاء لا يعتبرون بحالهم ولا بحال غيرهم من أشباههم ونظرائهم، وكيف يُمكِّن الله للخونة؟! فالحق أن الله يُمْكِنُ منهم لا أنه يُمَكِّن لهم، وكيف يُمَكِّن لهم وهم في خندق أعداء الإسلام؟!

وإخوانٍ حسبتهمو دروعًا	فكانوها ولكن للأعادي
وإخوان حسبتهمو سهامًا	فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب	فقد صدقوا ولكن من وِدادي

وقد قالت امرأة العزيز: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ﴾ تعني يوسف ﴿عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّه لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾.

إنه يجب التفطن لأمثال هؤلاء الخونة في جميع بلاد الإسلام، وخصوصًا بلاد الحرمين، فإنها قد غُزِيَت بأمثال هؤلاء أمكن الله منهم ولا مكَّن لهم.

إن بقاء البلاد مستعرة مشتعلة عند هؤلاء الخونة أحب إليهم من استتباب الأمور وقوة الدولة، وقد أخبر أحد أفاضل إخواننا الليبيين، عن فرقة الإخوان ببلاده ليبيا أنهم يحبون بقاء البلاد في فتن القتل والقتال حتى لا يستتب الأمر لغيرهم، خشيةً وحذرًا من أن يكون مآلهم القتل والتشريد أو الحبس بالسجون كما حصل بمصر -حرسها الله-.

ومما يدل على سفه عقول كثير من الناس من متسلقي المواقع على شبكة الاتصال العالمية، وغيرهم من سفهاء الإعلاميين، ترويجهم لكلام صاحب ما يسمى (بالتوك توك) والذي فيه ما فيه من الباطل وكفران النعم، والتحامل على الدولة فروجوا له وطاروا به، وقارن بين كلام هذا -مع كونه رجلًا- وبين كلام زوج العميد الشهيد أركان حرب عادل بن رجائي -رحمه الله- والذي فيه من الصدق والوفاء والدعاء بالخير والشكر والحرص على مصلحة البلاد ما فيه، وقد قيل: **شر قتيل من قتلته امرأة**، والمرأة قائمة، والرجل هارب مُسْتَخْفٍ وهذا شأن المرجفين الجبناء الرعاديد، فالمرأة قوية بالحق والرجل ضعيف بالباطل، وقد سمعنا بعد بخبر قتله.

إن كفار النعم مصيرهم كمصير الأقرع والأبرص من بني إسرائيل، ولا بأس بذكر هذه القصة بطولها للذكرى والعبرة:

روى البخاري في صحيحه برقم: (٣٤٦٤) ومسلم في صحيحه برقم: (٢٩٦٤) -واللفظ لمسلم- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه سمع النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقول: **"إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكًا، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قذِرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه قذره، وأُعْطِيَ لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال البقر، شك إسحاق (أي أحد رواة الحديث) إلا أن الأبرص أو الأقرع قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر، قال: فأُعطي ناقة عُشَرَاء، فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأَتَى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، وأُعْطِي شَعَرًا حسنًا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملًا، فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأَتَي الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأُبْصِر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدًا، فأُنتِج هذان وولَّد هذا، قال: فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم.**

قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون

الحسن والجلد الحسن والمال، بعيرًا أتبلَّغُ عليه في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذَرُكَ الناس؟ فقيرًا فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد على هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، انقطعت بيَ الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك، شاةً أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إليَّ بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله! لا أَجْهَدُك اليوم شيئًا أخذتَه لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رُضِيَ عنك، وسُخِطَ على صاحبيك".

قلت: ذكر الله الأعمى -ألا وهو ابن أم مكتوم- -رضي الله عنه- ذكره الله في كتابه بخير، فتدبر هذا -أيضًا-

إن من أراد الرزق والبركة فيه فعليه أن يقلع عن المعاصي ويتقي الله -تعالى- قال -سبحانه-: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ

لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ﴾.

فعلى العبد أن يشتغل بتغيير حال نفسه من السوء إلى الحسن، لا أن يشتغل بتغيير الحكام بسبيل أو بآخر، فإذا أصلح العبد نفسه وزكاها، أُصْلِحَ له أمره وشأنه وحاله، وأصلح له حكامه، أما مجرد تغيير الحكام فلا يغني عن المسيئين شيئًا، وإنما يزيدهم سعيهم في الباطل بالثورة على الحكام سوءًا إلى سوء وشرًّا إلى شر ومصيبةً إلى مصيبة؛ لأن ما بُنِيَ على باطل وشر فهو أشد بطلانًا وشرًّا خاصة إذا علمت أن التظاهر على الحكام سوأة ظاهرة ومجاهرة بالمعصية والبدعة وقد قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- -كما في الصحيح-: **"كل أمتي معافًى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل العمل بالليل، ثم يصبح فيقول: يا فلان: إني عملت البارحة كذا وكذا، فيبيت يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه"** ويجب على العبد أن يكون مصلحًا في الأرض ساعيًا في إعمارها وإصلاحها لا إفسادها وتخريبها.

فمتى أصلح العبد من شأنه واتقى ربه بارك الله له في رزقه، والبركة هي ثبوت الخير الإلهي في الشيء، والمعتبر هو البركة لا مجرد الكثرة، ومتى كان الشيء مباركًا كان عظيم النفع، فمثلًا: القرآن كلام قليل بالنسبة لكلام الرب -سبحانه- فلم يزل -سبحانه- متكلمًا، فهو -سبحانه- متكلم، يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء -سبحانه- ومع أن القرآن كلام لله، قليل بالنسبة لكلامه -سبحانه- إلا أنه عظيم البركة كثير الخير عظيم النفع، قال -عز من قائل-: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا

آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ وقال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ الآية من سورة الأنعام.

وقال في أواخر السورة: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فمن بركة هذا الكتاب أنْ هدى الله به خلقًا كثيرًا، قال -عز من قائل-: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وقال: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فقد فتح الله به آذانًا صمًا، وأعينًا عميًا، وقلوبًا غلفًا، وكم فتح به من ذلك!!

وبارك الله في الأرض، ومن بركتها أنها كافية لأهلها وسكانها على كر الدهور ومر العصور، قال -سبحانه-: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ﴾ وقال: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ

جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ فماء مبارك ينزل على أرض مباركة يُخْرِج نباتًا مباركًا بإذن الله، غير أن أكثر الناس أفسدوا في الأرض بالمعاصي فَقَلَّتْ بركة أرزاقهم أو انعدمت، وقد قال -سبحانه-: ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

إن المشكلة ليست في الحكام بقدر ما هي في الرعية، فالله هو رب الحكام، وهو الحَكَم العدل، وهو الذي يحكم لا معقب لحُكْمِه، وهو الذي له الحُكْم، وله الأمر والنهي -سبحانه- فهل تستجيب الرعايا لشرع ملك الملوك فتأتمر بأمره وأمر رسوله، وتنتهي عما نهى عنه وعما نهى عنه رسوله؟فرسول الله خير من جميع الحكام، والله خير من خلقه أجمعين، فهل يعظم الناس ربهم حق تعظيمه، ويعزرون ويوقرون رسول الله حق تعزيره وتوقيره؟! الواقع يؤكد أن أكثر الناس قديمًا وحديثًا لا يَقْدِرون الله حق قدره، ولا يقدرون رسول الله حق قدره، فلو قال قائل:

لو حَكَمَنَا مثل عمر لاستجبنا له لأنه حاكم عادل، قلنا: الله خير من عمر ومن غير عمر -رضي الله عن عمر- فلو كنت صادقًا في دعواك لاستجبت لله ورسوله، والله خير من عمر، ورسول الله خير من عمر، وقد أمر الله بالاستجابة له ولرسوله، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وشبيه بهذا

ما لو قال قائل مقيم على المعاصي: لو كنت في زمن النبي أو بعث النبي مرة أخرى وأنا حي لأطعته!!

هذا، وإن من خُلُقِ الإنسان وطبعه البخلَ عند وجود النعمة والجَزَعَ عند وجود الشدة -إلا من رحم الله- ومن ذلك ما عليه أكثر الناس اليوم، فإن بهم من النعم ما لا يحصيه إلا رب العباد، وما أكثر أن تجد ساخطًا جازعًا شاكيًا!! وما أقل أن تجد صابرًا راضيًا شاكرًا ومن هذا ما يقوم به وما يعزم على القيام به المتظاهرون من تظاهر وثورة وصخب وشكوى ونفرة وضجيج وبغي على الحاكم المسلم وخروج عليه وطلب تغييره، ولقد سبق قول شيخنا الوادعي -رحمه الله-: إن العوام إذا وفر لهم الحاكم الزيت والسكر والدقيق قالوا أمير المؤمنين، وإذا لم يوفر لهم ذلك ثاروا عليه أو كما قال -رحمه الله-

ونحن لا نزال نسمع شكوى الناس وقولهم في كل حين: الدنيا غالية -أي الأسعار غالية- على وجه الشكوى.

ولقد قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ أي جنسَ الإنسان ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ ثم استثنى ربنا -تبارك وتعالى- من استثناهم بقوله: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا

مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ وقال -سبحانه-: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ﴾ وقال قبلُ في السورة نفسها سورة فصلت: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

وقال -سبحانه-: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

وقال: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ * إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ فما أسرع يأس الناس!! وما أقل صبرهم!! وما أسرعهم إلى الفخر

والكبر إلا من رحم الله، وقال -سبحانه-: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ وقال: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاء سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

إن الله -سبحانه وتعالى- حكيم، يضع الشيء في موضعه فيعلم من يُصلحه الفقر ومن يصلحه الغنى، ومن يُفسده الفقر ومن يفسده الغنى، غير أن غالب الناس يفسدهم الغنى، قال -تعالى-: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾

فقد ينسى العبد فضل ربه عليه، وما أنعم به عليه من أسباب اكتسابه المال، وينسب اكتسابه المال إلى علمه وعرق جبينه وكده وتعبه، قال -تعالى- عن قارون: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ﴾ أي تثقل ﴿بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

ويجب على العبد أن يؤمن بالقدر فإنه سبيل لاطمئنان القلب وهدايته، قال -عز من قائل-: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ويجب على العبد أن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وقد ثبت في الحديث الصحيح قول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وأن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"** وقال -عز من قائل-: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾.

هذا، وليعلم العبد أن الكرم والجود سبب للغنى والعيشة الهنيئةوالأجر العظيم يوم القيامة، وأن البخل والشح والإمساك سبب للفقر والعِوز والتلف والهلاك.

فقد روى مسلم في صحيحه (١٠٢٩) عن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- قالت: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"أنفقي (أو انضحي أو انفحي) ولا تحصي فيحصيَ الله عليك"** ورواه بلفظ: **"انفحي (أو انضحي أو أنفقي) ولا تحصي فيحصيَ الله عليك ولا توعي فيوعيَ الله عليك"**.

ثم رواه عنها أنها جاءت النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فقالت: يا نبي الله! ليس لي شيء إلا ما أدخل عليّ الزبير، فهل عليّ جناحٌ أن أرضخ مما يدخل عليّ، فقال: **"ارضخي ما استطعت ولا توكي فيوكيَ الله عليك"** الحديث رواه البخاري

برقم: (١٤٣٤) بلفظ: الرضخ، ورواه برقم: (٢٥٩١) بلفظ: الإنفاق، ورواه برقم: (١٤٣٣) بلفظ: **"لا توكي فيوكَى عليك"**.

فإذا أحسن العبد إلى خلق الله أحسن الله إليه، قال -تعالى-: ﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ فمن أحسن في عبادة ربه ومنها عبادة التقرب إلى الله بالإحسان إلى خلقه أحسن الله إليه، وإحسان الله إلى عبده، خير من إحسان العبد إلى خلق الله.

قال -تعالى-: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وقال -عز من قائل-: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ وقال: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقال: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وقال: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وقال: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وروى البخاري في صحيحه برقم: (٧٤٣٠) ومسلم في صحيحه برقم: (١٠١٤) عن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: **"لا**

يتصدق أحدٌ بتمرة من كسب طيب، إلا أخذها الله بيمينه، فيربيها كما يربي أحدكم فَلُوَّه أو قَلُوصه (وفي لفظ لمسلم: أو فصيله) حتى تكون مثل الجبل أو أعظم" قال النووي -رحمه الله- في شرح هذا الحديث: "قال أهل اللغة: الفلو المُهْر، سُمِّي بذلك؛ لأنه فُلِيَ عن أمه أي فصل وعزل، والفصيل ولد الناقة إذا فُصِلَ من إرضاع أمه، وقال في معنى أو قلوصه: هي بفتح القاف وضم اللام وهي الناقة الفتية، ولا يطلق على الذكر. انتهى.

وروى مسلم في صحيحه برقم: (٩٩٣) عن أبي هريرة يبلغ به النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: **"قال الله -تبارك وتعالى-: يابن آدم! أنْفِق أُنْفِق عليك"**.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"لك بها يومَ القيامة سبعُ مائة ناقة كُلُّها مخطومة"** والخِطام كل ما وضع في أنف البعير ليقتاد به، كما في القاموس، قال المعلق على القاموس: هكذا في المحكم، وقال ابن شميل: وكل حبل يعلق في حلق البعير، ثم يعقد على أنفه، كان من جلد أو صوف أو ليف أو قنب. اهـ شارح أي انتهى نقله من: تاج العروس شرح القاموس، والقنَّب بكسر القاف وضمها وفتح النون المشددة نوع من الكَتَّان، كما في القاموس.

وقد روى مسلم في صحيحه رقم: (٢٩٨٤) بسنده إلى أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: **"بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتًا في سحابة، اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرةٍ، فإذا شَرْجة من تلك الشراج قد استوعب ذلك الماء كله، فتتبع الماءَ، فإذا رجل**

قائم في حديقته يُحَوِّل الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله! ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: ياعبد الله! لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلانٍ لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أمَّا إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يَخْرُج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثًا، وأرد فيها ثلثه".

وذكر مسلم بعده إسنادًا آخر وفيه -أي في متن هذا الإسناد: **"وأجعل ثلثه في المساكين والسائلين وابن السبيل"**.

وقال الله -تعالى-: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقال -عز من قائل-: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وقال: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾.

على أن طبع جنس الإنسان هو الإمساك إلا أن يجاهد نفسه، قال -تعالى-: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإنسَانُ قَتُورًا﴾ وقال -عز من قائل-: ﴿وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ

اللَّه لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا * الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّه مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ باللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاء قِرِينًا * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُواْ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّه وَكَانَ اللَّهُ بِهِم عَلِيمًا﴾ وقال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"إياكم والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم"** في آيات كثيرة وأحاديث كثيرة فيها مدح أهل الإحسان والجود والكرم والإنفاق، وذم أهل الإساءة والشح والبخل والإمساك.

هذا، وكما أن الإنفاق في وجوه الخير وإخراج الزكاة سبيل للأجر الأخروي والغنى الدنيوي، فإن الربا سبيل للتلف والمحق قال -عز من قائل-: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عند اللهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّه فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ وقال -عز من قائل-: ﴿يَمْحَقُ اللَّه الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّه لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ من اللهِ وَرَسُولِهِ

وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ * وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّه ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: **"اجتنبوا السبع الموبقات"** وذكر منها **"أكل الربا"** ومن أسباب الفقر والبأس والشدة ما ثبت في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه قال: **"يا معشر المهاجرين! خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضَوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخِذوا بالسنين وشِدَّ المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم من غيرهم، فأخذوا بعض ما كان في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله -عز وجل- ويتحرَّوا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم"** الحديث صححه الشيخ الألباني -رحمه الله- كما في صحيح الجامع برقم: (٧٩٧٨) من رواية ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- وعزاه إلى (الصحيحة) برقم: (٣٠٩) أيضًا.

هذا، ولو يَعلم الناس ما في الصبر من الجزاء والعطاء والخير والسعة لصبروا على البأساء والضراء ولَلَجَأُوا إلى رب الأرض والسماء ليكشف ما بهم من ضر، وقد جاء عن بعض السلف قوله: **أدركنا خير أيامنا بالصبر**.

وشأن الدنيا غنى وفقر، وصحة ومرض، وتقلب الحال، فمن لم يصبر على طاعة الله شقي، قال -تعالى-: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى * قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ فيجب الصبر على أقدار الله المؤلمة بلا جزع ولا تسخط ولا شكاية إلى المخلوق، فإن الصبر عاقبته حميدة.

وروى مسلم في صحيحه بسنده إلى أبي عبد الرحمن الحُبُليّ قال: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبدالله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإن لي خادمًا، قال: فأنت من الملوك.

قل أبو عبد الرحمن: وجاء ثلاثة نفر إلى عبدالله بن عمرو بن العاص وأنا عنده، فقالوا: يا أبا محمد! إنا والله! ما نقدر على شيء، لا نفقة ولا دابة ولا متاع، فقال لهم: ما شئتم، إن شئتم رجعتم إلينا فأعطيناكم ما يَسَّرَ الله لكم، وإن شئتم ذكرنا أمركم للسلطان، وإن شئتم صبرتم، فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقول: **"إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا"** قالوا: فإنا نصبر، لا نسأل شيئًا.

فأين العازمون على الثورة بدعوى الفقر والعِوَز من مثل هذا الحديث ومن هؤلاء القوم وأخلاقهم؟!

وقد صحح الشيخ الألباني قول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **" الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر"** الحديث في صحيح الجامع برقم: (٢٩٤٢) من رواية: (حم، ت، هـ، ك) من رواية أبي هريرة، وعزاه الشيخ الألباني للصحيحة برقم: (٦٥٥).

ولْيَعلم عصاة الفقراء أنهم جمعوا بين عيب ومصيبة، بين عيب المعصية، ومصيبة الفقر، ومن المعاصي الكبائر خروجهم على حاكمهم أو عزمهم على ذلك والثورة عليه والتهويش عليه والتشهير به وتحقيره وسبه وشتمه وازدراؤه ونحو ذلك، بخلاف الفقراء الصابرين فإنهم مأجورون على صبرهم أجرًا عظيمًا.

والضعفاء -في الجملة أو في الغالب- هم أتباع الرسل، وفي حديث البخاري عن ابن عباس بشأن قصة هرقل ملك الروم مع أبي سفيان ومن معه قول هرقل لأبي سفيان: "وسألتك أيتَّبعه ضعفاء الناس أم أشرافهم، فقلتَ: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل".

قلت: ومما يصدق ذلك قولُ قوم نوح لنوح: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ من وجهة نظرهم ورأيهم الفاسد، يعنون الضعفاء والفقراء ونحوهم، فوصفوهم بهذا الوصف السيء واللقب الذميم، وكذلك قالوا له: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ فأتباع نوح هم في الحقيقة الأشراف وأعداؤه الأرذلون، وقال -عز وجل-: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ وهم لم يقولوا هذا لرسلهم إلا لأنهم يرون أنهم أكثر وأقوى وأغنى -أي من جهة عرض الدنيا- من رسلهم وأتباعهم، وقال -عز من قائل-: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ فالقوة والثروة وكثرة عرض الدنيا لا يدل كل ذلك على صلاح أصحابها وتقواهم بل إن مصيرهم هو الخسار.

وقال -عز وجل-: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ

مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ﴾ وهم أصحاب القوة ﴿إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

وقال -عز من قائل-: ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وقال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وقال في سورة غافر: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

وقال في سورة براءة: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ أُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الُّدنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ وقال: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا

﴿فِي الْبِلَادِ﴾ وغالبًا ما يطغى الإنسان إذا كان قويًا أو غنيًا -كماسبق- قال -عز من قائل-: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ وقال: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

فلو صبر المبتلون بفقر أو غيره على فقرهم وغيره من المصائب لكان خيرًا لهم.

وليدع العبد ربه بكشف ضره، قال -عز من قائل-: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ وقد ذكر الله الداعين في كتابه وذكر عاقبتهم الحميدة تارة على وجه العموم، وتارة على وجه الخصوص.فمما كان على وجه العموم قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى

رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ * فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عند اللهِ وَاللَّه عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ وقوله: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ * وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّه سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ وقوله: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقوله: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّه وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فالعابدون داعون لقول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"الدعاء هو العبادة"** والحامدون داعون، وقد قال الله -تعالى- عن أهل الجنة: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ومما ذكره الله في كتابه من الداعين على وجه

التعيين قوله -تعالى- عن نبيه زكريا: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ فما أحوج!! المتظاهرين الثائرين بدعوى الفقر والمسكنة والحاجة إلى دعائهم ربَّهم -سبحانه- ليفرج عنهم ويكشف ما بهم من بلاء وغلاء وشقاء، وما أحوج!! العازمين على ذلك التظاهر وتلك الثورة تحت مظلة تلك الدعوى ما أحوجهم!! إلى ذلك -أيضًا-.

وقال -سبحانه- عن نبيه أيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ ففي ذلك ذكرى للعابدين حقًا كما ذكر ربنا -تبارك وتعالى- وقد قال الله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فأمثال هؤلاء المتظاهرين الثائرين على حكامهم أو العازمين على التظاهر والثورة عليه محرومون من دعائهم ربهم لإزالة بأسهم وشدتهم وضرهم موكولون إلى أنفسهم الأمارة بالسوء وإلى شياطينهم من الجن والإنس الذين يؤزونهم إلى الشر أزًّا.

وذكر الله قصة أيوبَ في موضع آخر، فقال: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ فما أحوج!! هؤلاء النافرين نفرة حمر الوحش إلى ألباب يتذكرون ويعون ويعقلون بها بحيث يُقبلون على الطاعة ومنها دعاء الرب، ليكشف ما بهم من كرب، ويدبرون عن التظاهر الباطل والثورة الباطلة.

وقال -سبحانه- عن نبيه ورسوله نوح -أول رسول إلى أهل الأرض-: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فما أحسن!! عاقبة الداعين ربهم، العابدين ربهم، اللاجئين إليه، المتوكلين عليه.

وقال -سبحانه- عن نبيه ورسوله يونس: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ فما أنفع الدعاء لأصحابه!! وما أحسن عاقبة أصحابه!! فبالدعاء ينجو العبد من الغم ومن كل مرهوب، وبالدعاء يحصل للعبد الخير وكل مرغوب، وفي قصة يونس من العبرة أيضًا أنه لما غاضب قومه ولم يصبر ابتلاه الله بأن جعله في

بطن الحوت في الظلمات، وهي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت في قول كثير من المفسرين، ولهذا نهى الله نبيه بقوله: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وفي قصة يونس من العبرة -أيضًا- أنه لما لجأ إلى ربه وقت الضيق اجتباه ربه بعدُ وجعله من الصالحين كما في الآيات، نعمةً منه وفضلًا -سبحانه- كما أن آدم -عليه الصلاة والسلام- لما تاب تاب الله عليه واجتباه وهداه، فما أحوج!! الثائرين إلى الاعتبار بمثل هذه العبر، أم هم خير من الأنبياء والمرسلين؟!

هذا، ولو نظر هؤلاء الثائرون أو العازمون على الثورة، لو نظروا إلى من هو دونهم لعظموا قدر ما أنعم الله به عليهم من النعم، قال -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّل عليه في المال والخَلْق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضِّل عليه"** الحديث رواه البخاري برقم: (٦٤٩٠) ومسلم برقم: (٢٩٦٣)، ورواه مسلم بلفظ: **"انظروا إلى من هو أسفَلَ منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله"** قال (أي زاد) أبو معاوية (أحد رواة الحديث): **"عليكم"**.

وبناء على هذا الحديث نقول لأمثال هؤلاء المتظاهرين الثائرين أو العازمين على التظاهر والثورة: افرضوا أنكم جميعًا صرتم مكفيين وأغنياء، هل ستنتهي مطالبكم؟ الجواب: لا، مادمتم تنطرون إلى من هو فوقكم ولا تنظرون إلى من هو دونكم أي في أمر الدنيا.

ولو أن هؤلاء أُعطُوا أموالاً وأولادًا ثم أُخِذ منهم ذلك كله وهم أحياء ينظرون، أليست مصيبتهم حينئذٍ تكون مصيبة عظيمة وكانوا كمن لم يعطوا مالًا ولا أولادًا أصلًا بل أشد؟! ولْيَفرض هؤلاء أنهم أُعطوا جزيل المال وسلبت منهم صحتهم وابتلوا بالأمراض التي تلتهم هذه الأموال ماذا يصنعون؟!

ولو أنهم أُعطوا المطاعم والمشارب وحرموا الصحة التي بسببها يمكنهم التمتع بتلك المطاعم والمشارب ماذا يقولون؟!

ولو أنهم أعطوا الأموال الجزيلة ورزقوا بأولاد معوقين يستنزف السعيُ على علاجهم هذه الأموال ومثلها معها ماذا يقولون؟!

ولو أنهم رزقوا المال الكثير الجزيل ولم يرزقوا الأولاد فهل يستطيع الحاكم الذي يثورون عليه أن يأتيهم بأولاد؟! أم هل يستطيع أن يأتيهم بصحة وعافية؟! أو أن يرد إليهم صحتهم وعافيتهم المسلوبة منهم؟!

لو أن العبد أنزل حاجته وشكواه بالله كفاه، فهو الغني الحميد، ومن أنزل حاجته بغير الله وكله الله إلى فقير لا يملك لنفسه -فضلًا عن غيره- نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله، قال -عز من قائل-: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللَّه﴾ وقال -عز وجل-: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ وقال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ وقال: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ومن قول المؤمنين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

إننا لم نسمع الناس يومًا يقولون: الدنيا رخيصة، أي أسعار الأشياء، فمتى إذا ينكف الناس عن الثورات والفتن بدعوى الغلاء أو ارتفاع الأسعار؟! إن الله هو الرافع الخافض القابض الباسط المسعر -سبحانه-.

واختبر -أيها العاقل- جملة من هؤلاء الثائرين أو العازمين على الثورة، اختبرهم وسلهم عما عندهم من الخير، فستجد عندهم من الخير الشيء الكثير، لكن الأمر كما قال الله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ وقد قال -ربنا-: ﴿إِنَّ اللَّه لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ وقال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّه ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ لكن، أين الشاكرون؟!

إنَّ تظاهر هؤلاء وثورتهم سبيل لتحميل الدولة تبعات كثيرة ونفقات عظيمة بما سبيله زيادة شقاء هؤلاء، فالمعاصي عاقبتها وخيمة على أصحابها بحيث يتحملون غرم ذلك، وإن كان جهاد هؤلاء عزًا ورفعةً وغنمًا للمجاهدين في الدنيا والآخرة.

وماذا ترك هؤلاء الثائرون الناعقون الذين هم أشباه الرجال ولا رجال، ماذا ترك هؤلاء أو غيرهم من العازمين على الثورة للأطفال والصبيان والرضع الذين إذا جاعوا بكوا وصرخوا وثاروا؟! ماذا تركوا للحمر ونهيقها متى جاعت ورأت أصحابها؟! ألا يستحيي هؤلاء الملحِفون في مسألتهم، المتنطعون فيها، الذين هم أشباه الكفار في ثورتهم وتظاهرهم؟! إن الحياء خير كله، ولكن قل الحياء، والشكوى إلى الله.

لقد مدح الله قومًا في كتابه بقوله: ﴿لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ

﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ فتدبر حال هؤلاء وشدته ومع ذلك فهم متعففون، لا يُلحفون في مسألتهم، وقارن بين حال هؤلاء وحال أولئكم الثائرين النافرين نُفرة حمُر الوحش في البَرِّيَّة، أليست الثورة من أجل طعام أو شراب من أعظم الإلحاف في المسألة إضافةً إلى ما في الثورة من شرور؟!

إن الإمام أحمد -رحمه الله- كان يطببه طبيب نصراني من قبل الخليفة، فكان الخليفة يسأل ذاك الطبيب عن حال أحمد، فكان يقول: لا بأس، إلا أنه ليس عنده غمز، أي شيء في بطنه يتحرك، يعني الطعام والشراب!! هذا معنى ما ذكره الذهبي في ترجمة أحمد في السير.

إن أمر الدنيا كان هينًا عند أهل السنة البصراء بدين الله قديمًا ولا يزال هينًا عندهم بفضل الله -تعالى- وقد جاء عن مسعر بن كِدَام الهلالي قوله:

رأيت الجوع يطرده رغيفٌ ... ومِلءُ الكف من ماء الفرات

فَقُلُّ الطعم عون للمصلي ... وكُثْرُ الطعم عون للسبات

أيريد هؤلاء الثائرون أن تعود إليهم الأيام والليالي الخوالي التي لم يهنأ الناس فيها بعيش لفقد الأمن؟!

ما أسرع ما ينسى الناس!! أين أباة النفوس، أعزاء النفوس، أعفة النفوس؟! إن هذه المواقف الثورية مواقف ذل ومهانة، لا مواقف عز وصيانة وشرف وكرامة، فلينأ العبد عن مثل تلك المواقف الخسيسة.

إنه يجب الأخذ على أيدي أمثال هؤلاء أخذًا يكون مثلُه عبرة لهم ولغيرهم من بعدهم على مر الدهور والعصور، وأن تُحَرَّم المظاهرات تحريمًا حازمًا حاسمًا جازمًا قاطعًا، بحيث لا يصير ذلك الأمر سنة سيئة في الناس، فالمظاهرات مشحونة بالأضرار والمفاسد وتفويت المصالح و

الدين مبني على المصالح في جلبها والدرء للقبائح

ومبني على أنه لا ضرر ولا ضرار.

إضافة إلى ما فيها من التشبه بأعداء الإسلام، وهذا -وحده- كفيل بتحريمها، فكيف وفيها من المفاسد والأضرار ما لا يحصيه إلا رب العباد؟!

هذا، وفي الصحيحين من حديث أنس عن أسيد بن حضير -رضي الله عنهما- أن رجلًا من الأنصار خلا برسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فقال: ألا تستعملني كما استعملت فلانًا؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"**

وروى مسلم في صحيحه برقم: (٢٤٨٣) بسنده إلى أنس بن مالك أن أناسًا من الأنصار قالوا يوم حنين حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازنَ ما أفاء، فطفق رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يعطي رجالًا من قريش المائة من الإبل، فقالوا يغفر الله لرسول الله، يعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم؟! قال أنس بن مالك فحُدِّثَ ذلك رسولُ الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من قولهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبةٍ من أَدَم (وهو: الجلد، أو أحمرُهُ أو مدبوغُه، وهو

اسم جمع، كما في القاموس) فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فقال: **"ما حديث بلغني عنكم؟"** فقال له فقهاء الأنصار: أمَّا ذَوُو رأينا يا رسول الله فلم يقولوا شيئًا، وأما أناسٌ منا حديثةٌ أسنانهم قالوا يغفر الله لرسوله يعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم؟! فقال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"فإني أعطي رجالًا حديثي عهد بكفر أتألفهم أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رحالكم برسول الله؟! فوالله لَمَا تنقلبون به خير مما ينقلبون به"** فقالوا بلى يا رسول الله قد رضينا قال: **"فإنكم ستجدون أَثَرة شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض"** قالوا سنصبر.

قلت: في هذا الحديث بشارة لمن حاز السنة ورجع بها إلى رحله وأنها خير من المال وفيه بشارة لمن صبر على الأثرة.

والأثرة هي استئثار الولاة بالدنيا دونهم، فأرشد النبي إلى الصبر لا إلى الثورة والخروج، وأن هذا الصبر هو سبيل لقاء النبي على الحوض، والدنيا كلها لا تساوي لقاء النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- على حوضه الشريف الذي مَن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، فأين عقول الثائرين والخوارج من مثل هذا الحديث؟! إنه يجب الأخذ على أيدي الإعلاميين المروجين للشائعات الباطلة والأراجيف الكاذبة، ويجب الأخذ على أيدي أمثال هؤلاء من خطباء المساجد وغيرهم.

لقد من الله على بني إسرائيل بصبرهم على الأذى الشديد من فرعون وقومه، قال -تعالى-: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا

الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ وقال: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم﴾ أي آل فرعون ﴿مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وقد قال بنو إسرائيل لموسى ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ وقال -عز وجل-: ﴿فَأَرَادَ﴾ أي فرعون ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾ أي بني إسرائيل ﴿مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا * وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ﴾ فصبروا على أكفر أهل زمانه، فجعل عاقبتهم خيرًا وإرثًا عظيمًا، أفلا يصبر الناس اليوم على حاكمهم وهو رجل مسلم، قد أرشد الإسلام -كتابًا وسنة- إلى طاعته في المعروف، وحَرَّمَا الخروج عليه؟

وهذا نبي الله وكليمه موسى، لما صبر نال الدرجات العاليات الرفيعات في الدنيا والآخرة، قال -سبحانه-: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ فأنزل حاجته بالله -تبارك وتعالى- والله عند ظن عبده به، فأتاه الفرج، قال -تعالى-: ﴿فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا

تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فَأَمِنَ بعد خوف؛ لأنه لما قتل رجلًا من قوم فرعون، على إثر استغاثة إسرائيلي به، وهما يقتتلان، ائتمر ملأ فرعون به -أي تشاوروا فيه، كما في تفسير ابن كثير -رحمه الله- ليقتلوه، فجاءه رجل من أقصى المدينة يسعى قال: ﴿يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ﴾ ثم ورد ماء مدين، وكان من أمره ما قص الله في كتابه، ثم توالت المنح، قال -تعالى-: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ أي إحدى المرأتين ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّه مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّه عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ فحصل لموسى الأمن والزواج، ثم قال -تعالى-: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ

الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّه رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ أي من الخوف كما قال الحافظ ابن كثير ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ وهكذا تتوالى المنح بعد المحن، وهذه أعظم منحة أن يؤتيه الله النبوة والرسالة ويكلمه الله تكليمًا، فحصل لموسى الإطعام والأمن والتزوج والنبوة والرسالة والتكليم، فما أعظم!! أجرصبره -عليه الصلاة والسلام- تدبر هذا، وقارن بينه وبين الثائرين الخارجين يشكون حالهم وفقرهم إلى حكامهم، على وجه لا يرضاه الله ولا رسوله ولا عباد الله المؤمنون، وما نذكره من التحذير من سلوك سبيل أمثال هؤلاء المبطلين هو من جنس الشهادات التي من يكتمها يكون آثمًا قلبه، فإذا علمت نهي الحاكم عن مثل هذه الثورات والمظاهرات مع مخالفتها لشرع الله، علمت مدى الجرم الذي يسلكه ويقع فيه هؤلاء الثائرون النافرون.

ففي البخاري عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه قال: **"السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بعصية فلا سمع ولا طاعة"** وقال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جُنَّة، يقاتل من ورائه ويُتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرًا، وإن قال**

بغيره فإن عليه منه" فالله يحاسبه، لا أن يُخرج عليه، والحديث رواه مسلم مفرقًا وهذا لفظ البخاري وسياقه.

وفي صحيح البخاري عن أنس أن النبي أراد أن يُقْطِع من البحرين فقال الأنصار: حتى تُقطِع لإخواننا من المهاجرين مثل الذي تقطع لنا، قال: **"سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني"**

وفي لفظ: دعا النبي الأنصار ليكتب لهم بالبحرين، فقالوا: لا والله حتى تكتب لإخواننا من قريش بمثلها، فقال: **"ذاك لهم ما شاء الله على ذلك"** يقولون له، قال: **"فإنكم سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني"**.

وقد ذكر الله من صبر يوسف وعاقبة صبره في كتابه ما ذكر، فقال -تعالى-: ﴿قَالُواْ﴾ أي إخوته ﴿أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فقد صبر يوسف على أذى إخوته وإلقائهم إياه في الجب، وصبر عن المعصية حيث راودته امرأة العزيز، وصبر على السجن، فمكن الله -تبارك وتعالى- له في الأرض، وقد ذكر الله التمكين ليوسف في أكثر من موضع في سورة يوسف، وكل تمكين بحسبه، فمكن له بعد إخراجه من الجب حيث يكون الضيق، قال -عز وجل-: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ومكن له بعد إخراجه من

السجن حيث يكون الضيق، قال -سبحانه-: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ وذكر الله دعاء يوسف واعترافه بفضل الله عليه في أواخر السورة حيث قال يوسف: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ وقد صبر أبوه يعقوب صبرًا جميلًا، وقد قال بشأن يوسف وكذب إخوته عليه بأنه أكله الذئب: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّه الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ وقال بشأن أخي يوسف لما لم يرجع معهم من مصر إلى أبيه -أيضًا-: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّه أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ فجمع الله بينهم جميعًا، وتحققت رؤيا يوسف، فخروا له جميعًا سجدًا، وحصلت الألفة والمودة والرحمة والاجتماع، فما أحسن عاقبة الصبر الجميل!!

وذكر الله مريم وصبرها حيث صبرت عن المعصية وأحصنت فرجها وصدقت بكلمات الله -تعالى- فرزقها الله الكريم بالمسيح عيسى من غير أب، وصيره نبيًا رسولًا، فما أجمل وأحسن الرزق بعد الصبر!! قال -عز من قائل-: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي

أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ وقال -سبحانه-: ﴿إِنَّ اللَّه اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فتدبر هذا الرزق إضافة إلى الرزق بالمسيح عيسى!!

وقد روى البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: **"خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة"**.

وقد روى البخاري ومسلم عن أبي موسى عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: **"كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسيةُ امرأة فرعون، ومريمُ بنت عمران، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"** وجاء تقديم ذكر مريم في إحدى الروايات.

فأين صبر هؤلاء الثائرين الخارجين؟! إنه لا يجوز ترويع البهائم المحترمة، فضلًا عن المسلمين من بني آدم، فضلًا عن أولياء أمورهم.

وإذا كان سب آحاد المسلمين فسوقًا فكيف بسبهم أَولياء أمورهم، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: **"سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"** بما يدلك على جرم من سب أولياء الأمور أو قاتلهم، فكيف بمن قتلهم أو عزم على ذلك؟!

إن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- موصوف في التوراة بأنه ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا صخاب في الأسواق، كما في الصحيح عن ابن عمرو -رضي الله عنهما- وما أكثر صخب هؤلاء الثائرين!!

وليعلم هؤلاء الثائرون أنهم لن يَفوتهم شيء من رزق كتبه الله لهم، وأن المعصية لا تزيد الأرزاق.

فقد صحح الألباني في صحيح الجامع برقم: (٢٠٨٥) قول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"إن روح القدس نفث في رُوعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدَكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله -تعالى- لا يُنال ما عنده إلا بطاعته"** وعزاه إلى أبي نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

فالذي يشغل الدولة -حرسها الله- ويكلفها التبعات والأعباء بسبب تظاهره وثورته يجب أن يتحمل عاقبة ذلك من إنزال العقوبة اللائقة بشره وضرر وإفساده.

ونقول لهؤلاء الثائرين على جيش البلاد وشرْطتها:

يا أيها الناطح الجبل العالي لتوهنه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ونقول له: مَثَلُكَ

كناطحٍ صخرةً يومًا ليُوهنها فلم يَضِرْها وأَوْهى قرنهُ الوَعِلِ

قال صاحب القاموس: الوَعْل بالفتح وَكَكَتِفٍ وَدُئِلٍ، وهذا نادر: تيس الجبل.

هذا، وقد روى البخاري برقم: (٣٦٠٣) ومسلم برقم: (١٨٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله - **الذي** صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: "**إنها ستكون بعدي أَثَرة وأمور تنكرونها**" قالوا يا رسول الله، كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: "**تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم**".

فلم يُرشد إلى الخروج والثورة على الحكام متى كان هذا -أي مِن أثرة وأمور تنكر- منهم في أي عصر وأي مِصر.

وروى مسلم في صحيحه برقم: (١٨٤٦) بسنده إلى علقمة بن وائل الحضرمي عن أبيه قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فقال: يا نبي الله! أرأيتَ إن قامت علينا أمراءُ يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس وقال: "اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم" وفي الإسناد الثاني الذي يليه عند مسلم: فجذبه الأشعث بن قيس فقال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: "**اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا وعليكم**

ما حملتم" أي هذا الأمر بالسمع والطاعة مرفوع إلى النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من قوله لا من قول الأشعث.

وروى البخاري في صحيحه برقم: (٧٠٥) ومسلم في صحيحه برقم: (١٨٤٩) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: **"من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات، فميتةٌ جاهلية"** واللفظ لمسلم.

وبمثل هذا الذي ذكرناه في هذا المقال من الآيات والأحاديث والآثار تبطل ثورة الفقراء بل تبطل بحديث واحدٍ، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليمًا

تم الفراغ منه في ليلة الأربعاء الموافق التاسع من شهر

صفر لسنة ثمان وثلاثين وأربعمائة وألف

من الهجرة النبوية على صاحبها

الصلاة والسلام

وكتبه

أبو بكر بن ماهر بن عطية بن جمعة المصري